فن الجاحظ (١)

—((●))—

قد تعتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حالٍ من الأحوال والفلسفة لم تجمد على شكل من الأشكال فهما عرضة للتغيير في كل عصرٍ من العصور فلكل زمنٍ معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يخلّده علمه أو فلسفته خلّده فنه ولغته ٠—

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر في فنّ الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن و كيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي لما طالعت طائفةً من كتب الإفرنجة ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كتّابهم أو خطبائهم وأظن انه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل الى ما وصلوا اليه في هذا الباب ٠—

ان لهم أسلوباً في البحث عن الفن لم يعهده أدبنا بعدُ فلا يكتفون بالاشارة الى جزالة الكلام أو الى رقته أو الى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لونٍ من الألوان أو على صوت من الأصوات أومن حيث انها مجرّدة أومحسوسة الى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل الى اشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً ٠—

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجـال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى و كيف أنت داخل هذا البـاب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فانه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على خلوده في الأدب ٠—

أحبَّ الجاحظ الحياة حباً جمًّا فصوَّر كل معرض من معارضها ولوَّن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانهـا فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصاً من كل تصنع فألبس كل معرضٍ من المعارض ضرباً من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعاً من الخطوط والألوان جرياً على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال ٠—

ومن ولعه بهذه القاعدة وحرصه على أُصولها تعلَّق الجاحظ بحرية الصيغ وبمرونتها فهو يتوخى الأساليب التي يخاطب بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغـة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عبقريته وحرية فنه ٠—

لقد عرفتم كيف كانت حياة الجاحظ العقليـة ووقفتم على نشاط فكره وعلى رغبته في التطلع ورأيتم كيف يميل الى ذوق الأفكار والى تمحيصها و كيف يسلك الى التمحيص مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيـان ، فكل همه مصروف الى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة الى اجتناب كل كلفة و كل صيغة شعرية في علمه مما يبعد الاشياء عن حقائقها ٠—

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنياً على العقل وحدَه فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبـارات منقاد لعُريان الكلام يستعمله نفور من معتاصه يهمله على نحو ماقاله فيه البديع في مقامته الجاحظية لانه في العلم والفلسفة يخـاطب العقل وحده ولغة العقل مجرَّدة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل الصور في علمه وفلسفته حتى اذا اضطر الى تشبيه في أثناء كلام له على بعض الحيوان قرَّب تشبيهاته ولم يغلُ فيهـا بحيث تكون على مقربة من حواسنا تدركها هذه الحواس دون شيءٍ من النصب والكلفة ٠

من هذا الشكل تشبيهه النمر بالخيط الأسود الممدود ، قال[1] :

« فلا يلبث ذلك الانسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود ٠—»

فانظروا الى هذه الصورة المحسوسة فانه لم يغلُ في المشبه به ولا في لونه ولا في هيأته

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٣ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالخيط والسواد والمدّ كل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة ٠—

ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الإشارة باليد — والحية تسقط أسرع من اللمح — والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طاقة — وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما — والحية انتصبت كأنها رمح مركوز أو عود ثابت — والخصي كأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمّارة رطبة وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد ٠—

واذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارض مصوّرة لجأ الى تشبيه الموصوف باشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد البخلاء [1] :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلّب بن ابي صُفْرة وخازم بن ابي خزيمة وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال مالا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة ٠— »

انه لا ينزع في تشبيهاته الاّ الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كل حياته في كل مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الاّ الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بحاسة من الحواس كاليد أو كاللمح فكل صوره محسوسة ٠—

لم يكن فنّه في العلم والفلسفة الاّ فنّ الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حلّ الأفكار والتنقيب عن صيغ العالَم فهم لا يلتمسون من الألفاظ الاّ دلالتها على الأفكار دلالةً وجيزة فالجاحظ يجرّد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خصائص فنية فهو لا يجعل للصور مقاماً في كلامه وانما انقام للعقل وللتمييز فكل تنميقه صحة البيان ٠—

ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فيّاض بالمعنى وبالمادّة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكأن كتاب الحيوان ضرب من احاديث في العلم والفلسفة ولكنها أحاديث يغذيها عقل رجل فنان، خفيف الروح فكأن الجاحظ

(١) كتاب البخلاء ص ٨١ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد الا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارئ يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاظل الموضوعات وكما انه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فألفاظه تنفجر من ينبوع لغته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف .

ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل الى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضرباً من الشعر فالجاحظ على نحو ماقاله فيه البديع في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فمن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حليماً غذاه العلم والرأي المصيب
ليكشف عنك حيرة كل ريب وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في الفاظ هذين البيتين كالعلم والرأي والحيرة والريب تبين لكم انها ألفاظ مجرّدة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجرّدة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة[1] وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعده عن أفق الشعر واذا مال في شعره الى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شاكله فلانجد في تصاويره نوعاً من الإبداع وانما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة .—

غير أن الجاحظ لم يحبس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحبّ الحياة كما قلت لكم وصوّر كل مشهد من مشاهدها وانما جعل لكل صورة خصائصها فاذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قصّر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن .—

إذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبنى فنه فيه على أصول العقل وجدنا أنّ فن الجاحظ قد دخل في طور آخر .—

(١) راجع كتابي : المتنبي — سحر العبقرية .—

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هل كان الجاحظ مصوّراً ؟ —

يقولون : المصوّر يبحث عن الالفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصوّر يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة النعت ؟ —

فلنعمد الى صورةٍ من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ، قال الجاحظ[1] :

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركيناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماءً ولا غيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس الا ان يتكلم فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه باشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتماله وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وألحّ في فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١٠٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه وكأنهم لا يريدونه فتنحى عنه بقدر مارد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم ألجأه الى انذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فماأكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عزّ وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني عند نفسي من أضعف الناس فقدغلبني وفضحني أضعف حلقه ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمذالة .— »

فلنرجع بعد ان قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه .—

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصّل المصوّر على وجه عام هيأة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الهيأة أو على مساويها فاذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف محامد هذا العقل أو مقابحه ما بطن منها وماظهر فاذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف مختلف عواطفه وأهوائه .—

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وانما المصاعب ان يفصح الواصف عن كل شكل من الأشكال بلهجة من الكلام خاصة تباغت القاريء فتسليه وتسره .—

أهمل الجاحظ الكلام على هيأة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكيء فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ ... »

قلت لكم : المصوّر يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق المجاز فاذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ اليها الجاحظ وجدتم انها بعيدة عن المجاز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عادته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يغلُ في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواسّنا فهي مثل قوله : كالخيط الأسود الممدود ٠—

فالجاحظ في تصويره يعمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة واذا لجأ الى المجاز وقليلاً ما يلجأ فانه يقرّب ولا يبعّد ٠—

وكما يبحث المصوّر عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محلّه بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : العهود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة ٠—

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، ففي ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم يرَ الناس حاكماً قط ذميماً ولا ركينا ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ٠—

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور الديني البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها ٠—

لا شك في ان الجاحظ لم يطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجلٍ قاضٍ ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يغفل عن الكلام على الأشكال بلهجة تباغت فتسلي وتسرّ ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الذباب على أنف القاضي وإطالته المكث وتحوله الى مؤق عينيه والمباغتة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطومه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب بأصبَعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرّة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغتة فيهما ذب القاضي عن عينيه بيده وبطرف كمه ٠—

فالجاحظ مصوّر من أكبر المصوّرين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سوار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مثال التصوير في أدبنا فقد جرّ الجاحظ الى هذا القاضي انتباه القارئ فثبّت انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وولّد عن هذه الأوضاع أفكاراً وألّف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرّداً وانما هي رسم حقيقي ، انما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وانما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صوّر فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته ٠ —

لا شك في انكم قد لا حظتم انّ من أساليب الجاحظ في هذه القطعة الترديد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ٠٠٠ فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ٠٠٠ فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ٠٠٠

والترديد وسيلة من وسائل الفن فان الكلمة المردّدة توضّح الفكر أحسن توضيح فتوحي المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فان اللفظة اذا ردّدت كان لترديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن ٠ —

وكثيراً ما يلجأ الى هذا الباب فمرّة يردّد النعت ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البخلاء :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف ٠ »

ومرّة يردّد الفعل كقوله في وصف سحابة[1] :

« فاذا سحابة ضحيـاء تكاد تمس الأرض وتكاد تمس قمم رؤوسهم ٠٠٠ ثم قوله : ثم انها دفعت باشد مطر ٠٠٠ ثم اندفعت بالضفادع العظام ٠٠٠ ثم اندفعت بالشبابيط ٠ »

أو قوله[2] :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويريغ القنفذ الأفعى فيأكلها ٠٠٠ »

فكرّر كلمة : تأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في الترديد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي اليها ترديد النعت أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) » » السادس ص ١٠٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفعل أو الاسم انما هي شبه الغاية التي يؤدي اليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل انما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن ٠ —

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بناء الجاحظ ، أما جملة البناء فان لها أشكالاً شتى ٠

مرةً تموج عبارته فتنبسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه الا بعد شيء من التعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب[1] :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم نكن ندركه الاّ بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة ٠ — »

ومرةً يقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رنته[2] :

« اللهم انّا نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العِي والحَصَر ٠ — »

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمتد للقارئ مثل هذا النصيب :

ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتموجه وتقطعه ، من هذا القبيل كلامه في البخلاء وفي كثير من كتاب الحيوان ٠ —

من كل ماتقدم يتبين لكم أن الصور التي يعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة لاتتعب الحواسّ في إدراكها وانما الجاحظ اذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير الجنس الذي نعهده فهو يحيي فنه وينفخ فيه روحاً بلجوئه الى توضيح حقائق التفاصيل انه يصوّر الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص ترينا هذه الأفكار واذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجعوا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الولد[3] ٠

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٤٢ ٠

(٢) مقدمة البيان والتبيين ٠

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٦ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس في هذا الكلام شيءٌ من الصور وانما فنُّ الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط ٠—

واذا شاء الباحث ان يستوفي خصائص فن الجاحظ أوشك أن ينقطع به الكلام وأظن ان في هذا القدر إشارة الى فنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا الفن و كيف زاولها ٠—

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net